حوليات آداب عين شمس المجلد 53 (عدد أكتوبر – ديسمبر 2025)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

القوة البحرية العُمانية في عهد الإمام سيف بن سلطان اليعربي (1692–1711م)
" دراسة في السياسة الخارجية وبناء النفوذ الإقليمي"

د. حبيب بن مرهون بن سعيد الهادي*

سلطنة عمان
habib99847099@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2025/08/26
تاريخ قبول البحث: 2025/10/01
تاريخ النشر: 2025/12/30

المستخلص:

في مطلع العصور الحديثة، واجه العالم الإسلامي موجة احتلالية كاسحة تمثّلت في اندفاع القوى الأوروبية نحو بسط نفوذها على الممرات البحرية والمراكز التجارية الحيوية في الشرق، سعيًا للهيمنة على الثروات الطبيعية ومصادر التجارة العالمية. وقد كانت منطقة غرب المحيط الهندي – بما تضمّه من سواحل الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية والسواحل الغربية للهند وشرقي إفريقيا – من أبرز ميادين هذا الصراع الإمبراطوري، إذ خضعت مساحات واسعة منها للهيمنة البرتغالية لما يزيد على قرنٍ من الزمن. غير أنّ القدَر هيّأ لهذه المنطقة قيادةً واعية تمثّلت في أئمة عُمان من أسرة اليعاربة، الذين تصدّوا لتلك الموجة الاحتلالية، فنهضوا بمشروع تحرّريٍّ وحضاريٍّ متكاملٍ استطاع أن يُعيد رسم ملامح التوازن في غرب المحيط الهندي، ويؤسس لمرحلةٍ جديدةٍ من الأمن والازدهار والاستقلال.

يتناول هذا البحث السياسة الخارجية العُمانية في عهد الإمام سيف بن سلطان اليعربي (1692–1711م)، بوصفها أنموذجا متميّزًا لقيادةٍ إسلاميةٍ استطاعت أن توظّف عناصر القوة البحرية والدبلوماسية لتحقيق الأمن والسلم الإقليميين، وتكريس السيادة الوطنية لعُمان في وجه القوى الاحتلالية الأوروبية. ويعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي القائم على تحليل الوثائق والخرائط والمصادر التاريخية، بهدف الكشف عن الأسس الفكرية والمنهجية التي انطلقت منها السياسة الخارجية العُمانية في تلك الحقبة، واستقراء نتائجها السياسية والعسكرية والاقتصادية في الإقليم الأوسع لبحار الهند.

يركّز المبحث الأول على تحليل سياسة الإمام سيف بن سلطان في

ترسيخ الأمن وبسط السلم في أقاليم غرب المحيط الهندي من خلال رؤيةٍ إستراتيجية شاملة ارتكزت على توحيد الداخل العُماني وتعزيز القوة البحرية والتجارية للدولة. بينما يتناول المبحث الثاني نتائج تلك السياسة التي اتّسمت بالحزم والواقعية في مواجهة القوى الاحتلالية، حيث انتهج الإمام نهجًا هجوميًا منظمًا لتحرير المعاقل البرتغالية وتأمين خطوط الملاحة الدولية وضمان التجارة الحرة في المحيط.

وخلص البحث إلى أن تجربة الإمام سيف بن سلطان مثّلت نقطة تحولٍ كبرى في تاريخ السياسة الخارجية العُمانية، إذ نقلت الدولة من مرحلة الدفاع إلى مرحلة المبادرة الإقليمية الفاعلة، ورسّخت مفاهيم السيادة البحرية، والدبلوماسية الوقائية، والتوازن الإقليمي في بيئةٍ مضطربةٍ بالصراعات الدولية. كما يؤكد البحث أن هذه التجربة التاريخية العُمانية تحمل دلالاتٍ إستراتيجية متجددة في فهم مبادئ السلام القائم على القوة، وتشكّل أنموذجاً مبكرًا للسياسة الواقعية الأخلاقية في التاريخ العربي والإسلامي. الكلمات المفتاحية: الإمام سيف بن سلطان اليعربي، السياسة الخارجية، البرتغاليون، غرب المحيط الهندي، القوة البحرية العُمانية.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب – جامعة عين شمس 2025.

المقدمة

عاشت عُمان في عهد الأئمة اليعاربة (1624–1744م) نهضة شاملة شملت مختلف مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، فعمّ الرخاء أرجاء البلاد وساد الأمن والاستقرار، وانتشر العلم الشرعي وازدهرت حركة التأليف، كما توسعت الزراعة والتجارة، وتأسست المدن والحارات الكبرى والقلاع المنيعة التي شكّلت رموزًا للهوية الوطنية والدفاع الذاتي. وقد انعكس هذا الازدهار الداخلي على مكانة عُمان الخارجية، إذ شهدت شهرةً إقليميةً وعالميةً متصاعدة، وارتفع رصيدها السياسي والدبلوماسي عبر علاقاتها المتنوعة مع القوى الكبرى في ذلك العصر، مثل الدولة العثمانية وبلاد فارس، ومع القوى الأوروبية المتنافسة على النفوذ في المنطقة — البرتغاليين والهولنديين والفرنسيين والإنجليز — ما جعلها محورًا أساسيًا في توازن القوى الإقليمي خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين.

وفي هذا الإطار التاريخي المفعم بالحركة والفاعلية برز عهد الإمام سيف بن سلطان اليعربي (1692–1711م)، الملقب بـــ«قيد الأرض»، باعتباره ذروة القوة السياسية والبحرية للدولة اليعربية، ومنعطفًا حاسمًا في مسار السياسة الخارجية العُمانية. فقد استطاع الإمام، بما امتلك من بصيرةٍ إستراتيجية وقيادةٍ حازمة، أن يُعيد رسم ملامح النفوذ العُماني في غرب المحيط الهندي، وأن يجعل من بلاده قوةً بحرية إسلامية يحسب لها العالم حسابًا، قادرةً على مجابهة الاحتلال الأوروبي وردّ العدوان وتأمين طرق الملاحة والتجارة بين الشرق والغرب.

يكتسب بحث السياسة الخارجية في عهد الإمام سيف بن سلطان أهميتها من كونها تسلط الضوء على نموذجٍ عربيٍّ إسلاميٍّ مبكرٍ في إدارة العلاقات الدولية، يقوم على الجمع بين الواقعية السياسية والقيم الأخلاقية، وبين الدفاع عن السيادة الوطنية والانفتاح الواعي على العالم. فقد مثّل هذا العهد تجربة دبلوماسية متقدمة سبقت بمفاهيمها كثيرًا من الدول المحيطة، إذ استندت السياسة العُمانية إلى مرتكزاتٍ ثلاث: الاستقلال في القرار، والاتزان في الموقف، والحزم في مواجهة التهديدات الخارجية، مع الالتزام بمبادئ الشورى والعدالة التي شكّلت جوهر الفكر السياسي الإباضي.

كما يُعدّ هذا العهد من أبرز الأمثلة على توظيف القوة البحرية كأداة دبلوماسية، إذ استطاعت عُمان أن تستخدم أسطولها الحربي والتجاري لتحقيق أهدافها السياسية والاقتصادية دون التفريط في قيمها الإسلامية. فقد أدرك الإمام سيف بن سلطان أن السيطرة على الممرات البحرية تمثل أساس الأمن القومي العُماني، وأن بناء السلام الدائم لا يتحقق إلا بردع العدوان وتأمين التجارة الحرة، فمزج بين القوة والمصلحة، وبين الردع والاعتدال، في إطار رؤية شاملة للأمن الإقليمي في المحيط الهندي.

ويسعى هذا البحث إلى تحليل الأسس الفكرية والمنهجية لهذه السياسة الخارجية، من خلال قراءةٍ نقديةٍ للوثائق والمصادر التاريخية التي أرّخت لتلك المرحلة المشرقة من التاريخ العُماني. كما تهدف إلى إبراز أثر هذه التجربة في صياغة الشخصية الدبلوماسية العُمانية الحديثة التي ما زالت، إلى اليوم، تستلهم من إرث الإمام سيف بن سلطان مبادئها في الحياد الإيجابي، والاتزان السياسي، ودبلوماسية السلام القائمة على القوة الرادعة والعدالة الحضارية.

مشكلة البحث:

يشكل عهد الإمام سيف بن سلطان اليعربي مرحلة مفصلية في التاريخ السياسي والبحري لعُمان، إذ انتقلت الدولة من موقع الدفاع عن السيادة إلى موقع المبادرة الإقليمية وصنع النفوذ البحري في غرب المحيط الهندي. غير أن هذه المرحلة – على ما تنطوي عليه من إنجازات بحرية وسياسية كبرى – ما تزال بحاجة إلى قراءة تحليلية متعمقة تُبرز الأسس الفكرية والسياسية التي قامت عليها السياسة الخارجية العُمانية آنذاك، وآليات توظيف القوة البحرية كأداة دبلوماسية لتحقيق الأمن والسلم الإقليميين .ومن هنا تتحدد الإشكالية الرئيسة في التساؤل الآتي:

كيف استطاع الإمام سيف بن سلطان اليعربي توظيف القوة البحرية العُمانية لبناء نفوذٍ سياسيٍّ إقليمي وتحقيق توازن القوى في غرب المحيط الهندي خلال أواخر القرن السابع عشر وبدايات القرن الثامن عشر؟

ويتفرع عن هذه الإشكالية عدد من التساؤلات الفرعية التي توضح أبعادها:

1. ما الأسس الفكرية والمنهجية التي استندت إليها السياسة الخارجية العُمانية في عهد الإمام سيف بن سلطان؟
2. كيف أسهمت القوة البحرية العُمانية في حماية الأمن القومي وتوسيع المجال الحيوي لعُمان؟
3. ما طبيعة العلاقات العُمانية مع القوى الإقليمية والدولية (البرتغاليين، الفرس، الإنجليز، الهولنديين) في تلك الحقبة؟
4. إلى أي مدى مثّل النفوذ العُماني أنموذجًا مبكرًا لما يمكن تسميته بـــ«الدبلوماسية الواقعية الأخلاقية» في التاريخ العربي والإسلامي؟

أسئلة البحث:

انطلاقًا من الإشكالية التي تبحث في كيفية توظيف الإمام سيف بن سلطان اليعربي للقوة البحرية لبناء النفوذ السياسي لعُمان، تتفرع الأسئلة الرئيسة الآتية:

1. من هو الإمام سيف بن سلطان اليعربي، وما أهم ملامح شخصيته القيادية والسياسية؟
2. ما الأسس الفكرية والسياسية التي انطلقت منها السياسة الخارجية العُمانية في عهده؟
3. كيف تم توظيف القوة البحرية كأداة لتحقيق النفوذ الإقليمي وتأمين المصالح الوطنية؟
4. ما أثر النشاط البحري العُماني في تشكيل العلاقات الإقليمية لعُمان في الخليج وشرق إفريقيا؟
5. ما النتائج السياسية والاقتصادية والعسكرية المترتبة على هذه السياسة في غرب المحيط الهندي؟

أهداف البحث:

1- إبراز الجهود العمانية في مواجهة المحتل البرتغالي.

2- التعرف على الفكر السياسي عند الإمام سلطان بن سيف اليعربي.

3- التعريف بمنهج السياسة الخارجية العمانية في عهد الإمام سيف بن سلطان اليعربي.

4-معرفة تأثيرات السياسة الخارجية العمانية في عهد الإمام سيف بن سلطان اليعربي على الوضع الإقليمي.

5-دراسة أثر النشاط البحري في تشكيل العلاقات الإقليمية لعُمان في الخليج العربي وشرق إفريقيا، وبيان دوره في بناء النفوذ السياسي والاقتصادي العُماني.

أهمية البحث أكاديميًا وتاريخيًا:

تنبع أهمية هذا البحث من كونه يتناول مرحلة محورية في التاريخ العُماني والعربي والإسلامي، مثّلت فيها عُمان – بقيادة الإمام سيف بن سلطان اليعربي – أنموذجًا فريدًا للدولة البحرية القادرة على الجمع بين القوة العسكرية والحكمة السياسية، في زمنٍ كانت فيه القوى الأوروبية تتنازع السيطرة على الممرات البحرية والتجارة العالمية.

أولًا: الأهمية الأكاديمية

يُعد هذا البحث إسهامًا علميًا في مجال دراسات التاريخ السياسي والعلاقات الدولية من منظور عربي–إسلامي، إذ يعيد قراءة تجربة عُمانية أصيلة في إدارة السياسة الخارجية وفق رؤيةٍ تقوم على التوازن بين الواقعية السياسية والمبادئ الأخلاقية، وهو ما يثري الفكر السياسي العربي والإسلامي الحديث بمفهوم "الدبلوماسية الوقائية" و"السلام القائم على القوة".

كما أن الدراسة تعتمد على تحليل الوثائق والخرائط والمصادر الأصلية، وتُقدّم أنموذجًا تطبيقيًا لتوظيف المناهج الوصفية والتحليلية في دراسة التاريخ البحري والسياسة الخارجية، مما يجعلها مرجعًا أكاديميًا للباحثين في مجالات التاريخ البحري، والدبلوماسية العُمانية، ودراسات الأمن الإقليمي في المحيط الهندي.

ثانيًا: الأهمية التاريخية

تكمن الأهمية التاريخية للبحث في أنه يُبرز الدور العُماني في تحرير الممرات البحرية من الهيمنة البرتغالية، وفي بناء قوة بحرية عربية–إسلامية مستقلة خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر. كما يُظهر كيف ساهمت سياسات الإمام سيف بن سلطان في تحقيق الأمن والسلم الإقليميين، وفي إعادة رسم خريطة النفوذ في غرب المحيط الهندي، لتصبح عُمان آنذاك لاعبًا محوريًا في توازن القوى العالمية.

ويكتسب البحث بعدًا حضاريًا كذلك من خلال إبراز أثر تلك السياسة في تعزيز الهوية الوطنية العُمانية وترسيخ قيم السيادة والانفتاح الحضاري، الأمر الذي يجعل من تجربة الإمام سيف بن سلطان مرجعًا تاريخيًا في فهم نشأة الدولة العُمانية الحديثة ومقومات قوتها الناعمة والصلبة عبر العصور.

أدوات البحث: اعتمد هذا البحث على:

1– المصادر الأولية: مثل التقارير والوثائق والدوريات والخرائط ذات الصلة بموضوع البحث.

2- المصادر الثانوية: مثل الكتب العربية والمترجمة والرسائل العلمية الورقية منها والرقمية.

منهجية البحث:

اعتمد هذا البحث على المنهج التاريخي الوصفي التحليلي بوصفه الأداة العلمية الأكثر ملاءمة لدراسة الوقائع السياسية والبحرية في عهد الإمام سيف بن سلطان اليعربي (1692–1711م)، حيث يقوم هذا المنهج على تتبّع الأحداث في سياقها الزمني وتحليل تطورها السياسي والعسكري والاقتصادي، بالاستناد إلى الوثائق التاريخية والخرائط والرحلات والكتابات الأوروبية والعُمانية. ويهدف هذا المنهج إلى تقديم رؤية تفسيرية دقيقة لمسار القوة البحرية العُمانية في تلك المرحلة من التاريخ الحديث.

وإلى جانب المنهج التاريخي، تم توظيف المنهج التحليلي النقدي الذي يركّز على قراءة النصوص والمصادر الأصلية قراءةً فاحصة للكشف عن دوافع السياسة الخارجية وأبعادها الفكرية والإستراتيجية، وربطها بالسياق الإقليمي والدولي في غرب المحيط الهندي.

كما استند البحث إلى المنهج الجيوسياسي (Geopolitical Approach) لتحليل أثر الموقع الجغرافي البحري لعُمان في صياغة سياستها الخارجية وبناء نفوذها الإقليمي. فقد شكّل الموقع البحري العُماني — الممتد من مضيق هرمز شمالًا إلى السواحل الإفريقية شرقًا وجنوبًا — قاعدةً إستراتيجية للتحكم في خطوط الملاحة والتجارة الدولية، وأسهم في تكوين رؤية سياسية بحرية جعلت من عُمان قوة مهيمنة في المحيط الهندي.

وقد استخدم البحث أيضًا منهج تحليل المحتوى الوثائقي في التعامل مع النصوص التاريخية الأصلية والتقارير المعاصرة والخرائط الجغرافية، بهدف استنباط المعاني السياسية ودلالات النفوذ البحري من خلال معالجة علمية منهجية قائمة على الدقة والتحليل المقارن.

حدود البحث:

1- الحدود الزمانية: نهايات القرن السابع عشر وبدايات القرن الثامن عشر الميلادي.

2- الحدود المكانية: غرب المحيط الهندي.

التمهيد: دولة اليعاربة في عمان (1034–1162/ 1624–1749)

اليعاربة قبيلة أزدية قحطانية عمانية كان لها موطئ قدم بالرستاق، وقد كان لها الملك في تلك الأرجاء منذ عهد النباهنة في عمان والذين سبق حكمهم حكم اليعاربة، وقد أنجبت هذه الأسرة العمانية الحاكمة عددا من الأئمة الأقوياء الذين كان لهم أثرا كبيرا على النفوذ العماني خارجيا وقد قال فيهم المؤرخ السيابي "ومن الأزد بعمان آل يعرب بن عمر بن نبهان.. صاروا ملوك عمان وأئمتها الذين يعلم العالم العربي من هم، ويعترف الكل بشرفهم، وأحوال آل يعرب بعمان منقطعة النظير، ولا قياس لها، فقد خاضوا البحر فاتحين، وتغلغلوا في البر مكافحين، وداسوا ممالك في الشرق كانوا بعيدة الأمنية لأهل عمان.. وحسبك الأساطيل التي كانت تمخر عباب البحر، حاملة للعلم العماني الموقر، باسم آل يعرب في ضخامتها وعددها وعدّها"[1] .

وقد برز في هذه الدولة العمانية عددا من الأئمة الأقوياء الذين كان لهم أثرا كبيرا على النفوذ العماني خارجيا كالإمام ناصر بن مرشد (1624–1649م)، والإمام سلطان بن سيف (1649–1680م)، والإمام سيف بن سلطان (1692–1711م) والملقب ب (قيد الأرض)، ويعد الأخير ذا النفوذ العسكري الكبير حيث توسع الأسطول العماني في عهده إذ أصبح يجوب غرب المحيط الهندي ولا تقوى الأساطيل الأوروبية على مجابهته أو اعتراضه، وقد حقق الأسطول الحربي العماني في عهده إنجازات عسكرية هائلة في غرب المحيط الهندي كانت سببا في نشاط علاقات عمان الخارجية مع مختلف القوى في المنطقة، ويمكن القول بأن "هذه الدولة هي من أعطت الشهرة لهذا الإقليم في العصر الحديث .. ولعل الجهود التي بذلها العمانيون من أجل تزداد عمان انتشارا تخلىص بلادهم من سىطرة البرتغالىىن، كانت العامل القوي الذي أبرز أسرة الىعاربة"2، ففي منتصف القرن السابع عشر استطاع العمانيون طرد البرتغاليين من سواحل عمان وسعوا إلى تأسيس أسطولا بحريا قويا ضيقوا من خلاله الخناق على وجود البرتغاليين في غرب المحيط الهندي.

ويمكن القول بأن "هذه الدولة هي من أعطت الشهرة لهذا الإقليم في العصر الحديث، ولعل الجهود التي بذلها العمانيون من أجل تزداد عمان انتشارا تخلىص بلادهم من سىطرة البرتغالىىن، كانت العامل القوي الذي أبرز أسرة الىعاربة"[3]، ففي منتصف القرن السابع عشر استطاع العمانيون طرد البرتغاليين من سواحل عمان وسعوا إلى تأسيس أسطولا بحريا قويا ضيقوا من خلاله الخناق على وجود البرتغاليين في غرب المحيط الهندي[4].

سيف بن سلطان اليعربي

هو سيف (الأول) بن سلطان (الأول) بن سيف بن مالك بن أبي العرب اليعربي، ابن الأمام الثاني بالدولة اليعربية وحفيد الإمام الأول المنتخب من قبل علماء عمان لتحقيق الوحدة ومحاربة البرتغاليين، وهو من أسرة ملكية حكمت الرستاق قبل الوحدة العمانية في عهد الإمام اليعربية، ولقب الإمام سيف بن سلطان ب (قيد الأرض) ويعد أحد أشهر أئمة اليعاربة الذين حكموا عمان، حيث تميز بالنفوذ العسكري الكبير والسياسة الخارجية الصلبة، حيث توسع الأسطول العماني في عهده إذ أصبح يجوب غرب المحيط الهندي ولا تقوى الأساطيل الأوروبية على مجابهته أو اعتراضه، وقد حقق الأسطول الحربي العماني في عهده إنجازات عسكرية هائلة في غرب المحيط الهندي كانت سببا في نشاط علاقات عمان الخارجية مع مختلف القوى في المنطقة.

السياسة الخارجية:

تتعدد التعريفات حول مفهوم السياسة الخارجية ومن أهم تلك التعريفات هي " الخطة التي ترسم العلاقات الخارجية لدولة مع غيرها من الدول"[5]، وتعريف آخر يربط السياسة الخارجية بمبدأ تحقيق السلم والأمن وهو: "ميدان أفعال الدولة تجاه الدول الأخرى، وهي برنامج يعد لتحقيق أفضل موقع ممكن للدولة بالطرق السلمية"[6]، ومن كل ذلك نجد بأن السياسة الخارجية هي "عملية دينامية متصلة ومستمرة غايتها تحقيق المصلحة القومية عن طريق توظيف أدوات عدة، سياسية،

اقتصادية، عسكرية، ثقافية وغيرها"[7]، وفي عمومه فإن السياسة الخارجية هي الإجراءات التي تتخذها الدولة في علاقاتها الخارجية لتحقيق مصلحتها بالطرق السلمية، ولقد كانت السياسة الخارجية العمانية في عهد الإمام سيف بن سلطان ذات نشاط فاعل مع القوى الإقليمية والعالمية في نهايات القرن السابع عشر وبدايات القرن الثامن عشر الميلادي، مما حدا بالباحثين إلى دراسة حيثيات تلك الفترة التاريخية بمختلف قضاياها السياسية في عهد الإمام سيف بن سلطان.

المبحث الأول: سياسة الإمام سيف بن سلطان في نشر الأمن والسلم في منطقة غرب المحيط الهندي (1692 – 1711م)

يعد الإمام سيف بن سلطان أبرز الأئمة اليعاربة في النفوذ السياسي الخارجي وقد لقب ب (قيد الأرض) لما ذكر عنه من توسع نفوذه لأقطار واسعة وأراض شاسعة حيث يقول السالمي في ذلك "ولقب بقيد الأرض لضبطه الممالك، وتقييده البلاد بعداه"[8] ولقدرته وشدة حزمه وسطوته وعدله وضبطه للممالك وكثرة انتصاراته في جميع غزواته[9]، كما ذكر المؤرخ البطاشي عن جهود الإمام سيف بن سلطان في مقارعة البرتغاليين قائلا: "وكان الإمام سيف بن سلطان من أئمة العدل والحزم، جمع الله به الكلمة، فطهرت عمان على يديه من شوائب العدو البرتغالي، وعادت رايتها خفاقة في الموانئ بعد طول انكسار"[10]

وهو ابن الإمام سلطان بن سيف (1649–1680م) وحفيد الإمام ناصر بن مرشد (1624–1649م) وقد بدأ حكمه سنة (1104هـ/ 1692م)[11] بعد أن نزع الحكم من أخيه بلعرب بن سلطان معللا ذلك التصرف إلى قصور أخيه في التعامل مع الأحداث الإقليمية وميله للسياسة الداخلية وإهماله للسياسة الخارجية[12]، وعدم قدرته على التصرف بمهارة في العلاقات الخارجية مع الدول الأوربية وخاصة العلاقة مع البرتغاليين الذين كانوا قد سيطروا على بعض مدن الساحل العماني وبعد أن تم طردهم منها ومن بعض سواحل الهند وشرقي أفريقيا في عهد والده الإمام سلطان بن سيف عادوا من جديد يتربصوا بالأسطول العماني ويسيطروا على بعض تلك المناطق المحررة في عهد أخيه بلعرب بن سلطان (1680–1692م)، فسعى الإمام سيف بن سلطان إلى مواجهة هذا التمدد البرتغالي، ومحاولا للوصول إلى النهوض ببلاده كقوة إقليمية تعيد لعمان تاريخها ومجدها، فعمان بلد له حضارته ومكانته في المنطقة؛ لما تميز به موقعه الجغرافي وإشرافه على مضائق وبحار لها أهميتها التجارية، فقد حمل على عاتقه مواجهة البرتغاليين خلال فترة وجودهم في منطقة الخليج العربي والمحيط الهندي، فأصبح للعمانيين في عهده السيادة على المحيط الهندي[13].

ويمكن القول بأن المؤرخين قد أجمعوا على أن الإمام سيف بن سلطان اليعربي رجل حرب وسلم وسياسة ودولة، وقد حكم حوالي (19) سنة من خلالها ارتفع رصيد عمان في الساحة الدولية حيث وصفه العديد من المؤرخين الأوروبيين بالقوة والسيادة فوصفوا قوة أسطوله الحربي بأنه يمتلك أسطولا يتكون من ثمان وعشرين سفينة حربية، وكانت مجهزة بالأسلحة الحديثة.

وتعد فترة حكم الإمام سيف بن سلطان فترة غنية بالأحداث السياسية الخارجية ولذا كتب حولها المؤرخين والباحثين الكثير من الدراسات والبحوث تحليلا وتفسيرا للقوة الخارجية العمانية الصاعدة بقوة في فترة شهد العالم ظهور للقوى الأوروبية الاحتلالية في منطقة المحيط الهندي، ويشير السديس[14]، إلى محاولة القوى الأوروبية الاتفاق على مواجهة صعود القوة العسكرية العمانية التي كانت تشكل تحديا لنفوذ القوى الأوروبية في غرب المحيط الهندي؛ لذا وقعت بريطانيا وهولندا وفرنسا عام (1700م) معاهدة لمواجهة القرصنة في الخليج العربي، وأعتبر المؤرخين الأوروبيين القوة العمانية الصاعدة بمثابة خطرا قادما ضد رغبة الاحتلال الأوروبي في التمدد بالمحيط الهندي[15]، كما يؤكد المؤرخين والرحالة الغربيين عن الامتداد العربي في المحيط الهندي على لسان المؤرخ الإنجليزي "كوبلاند" بأن قوة عرب عمان أصبحت تفوق أي قوة بحرية أخرى، وكانت الأساطيل الانجليزية والهولندية تخشاها"[16]، كما أشاروا إلى قوة الإمبراطورية العمانية بأنها الإمبراطورية البحرية التي عـزم اليعاربـة علـى بنائهـا وقـد تكـون أشبه بالقوة الأوروبية، حيث أصبحت عمان في عهدهم دولـة مزدهـرة لقـرن مـن الزمـان[17]. يشير لذلك الرحالة الأوروبي (فراير) الذي زار عمان في عهد الإمام سيف بن سلطان فذكر أن العمانيين قد اكتسبوا قدرات بحرية هائلة وأن نشاطهم يهدد بندر عباس لدرجة أن الفرس طلبوا من الانجليز حمايتهم من العمانيين، بل ويؤكد (هاميلتون) بأن البحرية العمانية في عهد اليعاربة تتكون من مئات السفن الكبيرة ذات الحمولات المختلفة من المدافع الصغيرة والكبيرة[18].

الصراع العماني – البرتغالي في غرب المحيط الهندي:

عاش الساحل العُماني قرابة قرنٍ ونصف تحت الهيمنة البرتغالية، حتى قيّض الله تعالى لعُمان أن تنهض بقيادة علمائها في مطلع العصور الحديثة، فتوحّدت البلاد تحت راية دولة اليعاربة التي خاضت نضالًا وطنيًا عظيمًا لاستعادة السيادة وطرد المحتلين. وقد برزت هذه الجهود في عهد الإمام سيف بن سلطان اليعربي الذي قاد مرحلة الحسم في المواجهة مع البرتغاليين، فتمكّن من تحطيم قوتهم البحرية في المحيط الهندي وتحرير الموانئ العُمانية والإفريقية من سيطرتهم[19].

فقد قاد اليعاربة (41) معركة بحرية ضد البرتغاليين في غرب المحيط الهندي[20] وقد خسر البرتغاليين أغلبها وقد أشارت وثائقهم لتلك الهزائم ومنها ما وقع عليهم قرب ميناء رأس الحد شرق عمان حيث ورد: " في شهر فبراير من سنة ألف وستمائة وخمسين، وقعت معركة بحرية عظيمة قرب رأس الحد بين قوات عُمان والأسطول البرتغالي القادم من غوا. جاء العُمانيون بسفن كبيرة وجلالاتٍ مجهزة بالمدافع، وقاتلوا ببسالة حتى خسرنا سفينتنا الكبرى *نوسترا سينيورا دا كونسيساو*، وقُتل كثير من رجالنا. وكانت تلك بداية فقدان مسقط وسائر الممتلكات البرتغالية في بحر عُمان."[21] يمثل هذا النص شهادةً برتغالية صريحة على بداية النهاية للوجود البرتغالي في عُمان، إذ تكشف بوضوح أن معركة رأس الحد كانت أول مواجهة بحرية كبرى بين الأسطول اليعربي الصاعد بقيادة الإمام سلطان بن سيف اليعربي والقوات البرتغالية القادمة من غوا، وأنها مثّلت نقطة التحول الحاسمة في ميزان القوى البحري في المنطقة. فقد أقرّت الوثيقة بتفوّق العُمانيين في فنون القتال البحري، وبقدرتهم على استخدام سفن ضخمة من نوعي «البدن» و«الغنجة» المزوّدة بالمدافع الثقيلة، ما

مكّنهم من إلحاق خسائر فادحة بالأسطول البرتغالي، من بينها تدمير سفينتهم الكبرى نوسترا سينيورا دا كونسيساو. كما يُبرز النص إدراك البرتغاليين أن هذه الهزيمة لم تكن معركة عابرة، بل كانت الشرارة الأولى التي دشّنت مسار التحرير الشامل، إذ بدأت بعدها مدن الساحل العُماني تتحرر تباعًا من أيديهم حتى تمكّن العُمانيون في العام نفسه، 1650م، من دخول مسقط واستعادة سيادتهم الكاملة عليها، لتُغلق بذلك صفحة قرنٍ ونصف من الهيمنة البرتغالية، وتبدأ مرحلة المجد البحري العُماني في ظل دولة اليعاربة

وفي عهد الإمام سيف بن سلطان كانت البداية من الخليج العربي حيث كان ميناء كنج الفارسي آخر معاقل البرتغاليين في الخليج العربي إذ استطاع الإمام سيف بن سلطان من طردهم منه نهائيا عام (1696م)، حيث قامت قوة عمانية مكونة من 5 سفن حربية تحمل ألف وخمسمائة محارب عماني باجتياح الميناء الفارسي والذي كان تحت سيطرة البرتغاليين فدمروه تدميراً، فقتل من قتل من القوات البرتغالية وهرب من هرب، ولم يكتفي الإمام سيف بن سلطان بهذا الاجتياح للمعاقل البرتغالية في الأراضي الفارسية باتفاق بين القوتين، حتى هدد باجتياح ميناء فارس الرئيس وهو بندر عباس المقابل للأراضي العمانية بأقصى شمال عمان حيث شبه جزيرة مسندم أو أنه يحصل على نفس الامتيازات التجارية التي حصلت عليها[22]، كما هاجم أغلب مراكز البرتغاليين في الهند بداية من مركزهم الرئيس في ديو إلى ميناء باسيين الذي شهد أقسى هزيمة ضد الأسطول البرتغالي، بينما كانت الهزيمة المدوية في تاريخ البرتغاليين هو دخول الأسطول العماني قلعة يسوع بمدينة ممباسا على الساحل الشرقي لأفريقيا عام (1698م)[23]، ومن خلال هذه المعركة يمكن القول بأن نفوذ البرتغاليين في الشرق أذن بالأفول، بعدما كان للبرتغاليين دورا رئيسا في تحويل النظام التجاري في المحيط الهندي لصالحهم.

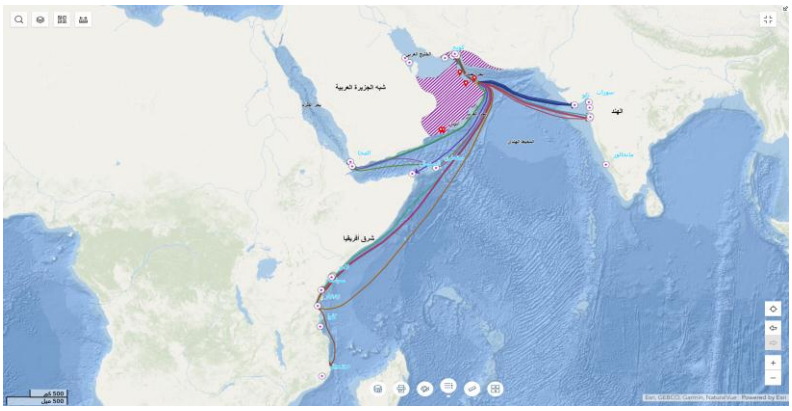

شكل1: خريطة الحملات العمانية زمن الإمام سيف بن سلطان على مراكز البرتغاليين في أفريقيا[24]

كان الوضع السياسي في غرب المحيط الهندي أثناء استلام الإمام سيف بن سلطان الحكم يعيش صراعا سياسيا عنيفا وذلك بسبب الصراع الأوروبي على ثروات الشرق وتجارته، ورغبة بعض القوى الإقليمية للسيطرة على مياه الخليج كحال بلاد فارس25 ، حيث يمكن تصنيف تلك القوى إلى قسمين:

1- القوى المحلية المطلة على الخليج العربي (الفرس)

2- القوى البحرية العالمية (البرتغاليين، الفرنسيين، الانجليز، الهولنديين)

ومن أبرز القوى العالمية التي كانت على صدام عسكري مستمر مع عمان مملكة البرتغال، وقد استطاع الإمام سيف بن سلطان تحجيم قوة البرتغاليين ومحاصرتهم؛ مما شجع التجارة عبر المحيط الهندي بأمان وسلام بعدما كانوا يتعرضوا لأساطيل الحج والتجارة بين شرق المحيط الهندي وغربه، كما كانت القرصنة من أعمالهم الوحشية في المنطقة، حيث كابدت شعوب المحيط الهندي منهم الكثير خلال قرنين من الزمن.

ويمكن وصف علاقته مع القوى الأوروبية الأخرى بأنها علاقة اتسمت بالحذر من جانب الأوروبيين، بينما كانت سياسة الإمام سيف بن سلطان واضحة المعالم وهي سياسة نابعة من موقف قوة وحق وسيادة وقيادة للأمة الإسلامية في مواجهة نفوذ وطلائع الاحتلال الغربي الحديث ضد العالم الإسلامي، كما كانت العلاقة مع القوى الإقليمية كالفرس والهند علاقة مختلفة، فحينما كانت علاقته مع الفرس علاقة تنافس وصراع وغلبة، كانت علاقته مع ممالك الهند قد اتسمت بالصداقة والتعاون في أغلب أحوالها.

النفوذ العماني بالمحيط الهندي

اعتمد الإمام سيف بن سلطان في سياسته الخارجية في ظل الصراع العسكري المستمر في غرب المحيط الهندي على مبدأ سياسة الردع وتوازن القوى، حيث سعى إلى بناء أسطول بحري كبير قادرا على التعامل مع الأساطيل الأوروبية[26]، بل إن شخصية كانت شخصية عسكرية مطلقة، يصفه في ذلك الأدميرال الفرنسي بأنه كان " جندياً جريئاً، وبطلاً هماماً"[27] وقد استخدم الإمام سيف بن سلطان كافة أنواع الأساليب العسكرية والأمنية والأسلحة الحديثة من بنادق ومدافع في مواجهة أعدائه حيث دعم جهود والده الإمام سلطان بن سيف اليعربي في تشكيل جيشا للدولة[28] بعدما كانت تعتمد على المقاتلين المتطوعين من القبائل المختلفة، كما استخدم أسلوب التجسس ضد العدو، خاصة ضد البرتغاليين الذين كانوا أشد أعداء دولته والمنطقة، كما قام بتأسيس مصانع للسفن بالموانئ العمانية، كما قام بشراء السفن الأحدث من الانجليز والهولنديين لتطوير أسطوله بأحدث القطع البحرية، بل ذهب إلى أبعد من ذلك حيث اتخذ مراكز لصناعة السفن خارج حدود بلاده، فقد أنشأ في سورات ونهر السند وغيرها من مناطق الهند مصانعا للسفن التجارية والعسكرية وبدون علم الأوروبيين[29]، وبذلك يمكن القول بأن الإمام سيف بن سلطان اليعربي يعد مؤسس البحرية النظامية العمانية في عصرها الحديث، وبها استطاع أن يتحكم الأسطول العماني بمداخل ومخارج غرب المحيط الهندي بسواحله الآسيوية والإفريقية، لدرجة أن أي سفينة لا تصغي لأوامر البحرية العمانية لا يتوانى الأسطول العماني في اجتياحها وضربها[30].

ومن خلال مشهد الخريطة السياسية لغرب المحيط الهندي تتضح نتيجة تتبع العمانيين في عهد الإمام سيف بن سلطان المحتل البرتغاليين حيث تشير إلى طرد البرتغاليين من جميع مراكزهم بالخليج العربي ومعظم معاقلهم على سواحل شرقي أفريقيا وغرب الهند، وهذا جعل الرحالة الغربيين المصاحبين للوجود الاحتلالي الأوروبي يحذروا من سياسة الاجتياح التي انتهجها الإمام سيف بن سلطان لكل من يحاول اعتراض طريق هذه القوة العربية الإسلامية الصاعدة

في غرب المحيط الهندي قاطبة، والتي تسعى لنشر السلم والأمن والاستقرار للمنطقة بعدما نغص أمنها وسلمها المد الاحتلالي الأوروبي وخاصة البرتغالي منه والذي كان متجبرا ظالما طاغيا، فما كان من الإمام اليعربي وأسلافه التصدي لهذه العنجهية البربرية وإيقافها بل واجتياح مراكز القوى فيها، فقد وصفوا القوة البحرية التي بدأت باجتياح المراكز البرتغالية بالهند وشبه الجزيرة العربية وبلاد فارس وشرقي أفريقيا بأنها تشكل خطرًا قادماً للبحار الشرقية[31] فيما أشارت شركة الهند الشرقية الإنجليزية صراحة إلى خطورة السياسة الخارجية التي اتبعتها عمان في عهد اليعاربة قائلة: " وأنهم قائمون على الدوام على سلب البرتغاليين والاحتراس يقضي ألا نحاول استفزازهم أو الاشتباك معهم إننا لن نجني من وراء ذلك شيئا، سوى ضربات تكال علينا"[32] وبالأخص حينما تم محاصرة العمانيين لقلعة يسوع بممباسا في مدة زمنية طويلة بلغت (33) شهرا[33] حتى اقتحمتها القوات العمانية في ملحمة بطولية نادرة وبذلك حُطمت قوة البرتغاليين التي كانت ممباسا مركزها الرئيس في شرقي أفريقيا وذلك عام (1698م)، بل وأضعفهم في الشرق قاطبة وهذا ما أشار إليه المؤرخ العماني السالمي حينما قال: "وحارب النصارى في جميع الأقطار وعمل لهم مراكب عظيمة في البحر وعظم جيشه وقوي سلطانه حتى قيل إنه اجتمع له في الجيش الذي دخل به الهند ستة وتسعون ألف عنان هذه الفرسان"[34] وفي هذا النص التاريخي القيّم تتضح حجم القوة العسكرية التي ملكها الإمام سيف بن سلطان في كافة السواحل الغربية للمحيط الهندي، ومن خلالها فرض سياسته الأمنية الإقليمية على الرغم من التحديات التي واجهت سياسته.

شكل (2) الحملات العمانية على مراكز البرتغاليين في الساحل الغربي للهند[35]

ومن خلال الخريطة شكل (2) تظهر مدى جرأة أسطول الإمام سيف بن سلطان في اجتياح مستعمرات البرتغاليين ومراكزهم في غرب الهند بين عامي 1694 و1696م36، حيث تتبع قواعد البرتغاليين بداية من ديو إلى ساحل كوجرات فأخضع جزيرة سالست والدامان، كما تمكن من السيطرة على عدد كبير من الجزر منها بارسالور ومناطق بمانجالور،37 وفي نهايات القرن السابع عشر (1699م) شن أسطول الإمام سيف بن سلطان هجوما شرسا فاجتاح ميناء سالست للمرة الثانية وتحديدا في منطقة بيرسونا نزل أفراد الأسطول العماني وترجلوا أرضاً ليخوضوا معركة حامية مع البرتغاليين، وقد كسبوها وعادوا بالغنائم38، وهذا ما عبره عنه المؤرخ البطاشي بقوله "وفي أيام الإمام

سيف بن سلطان بن سيف اليعربي اشتدت شوكة العمانيين، وعظم أمرهم في البر والبحر، فاستقلوا بسواحلهم ومدنهم بعد أن كانت بأيدي الإفرنج البرتغاليين، واستعادوا من سلطانهم ما اغتصبوه من المرافئ، وبنوا الأساطيل حتى دان لهم البحر شرقًا وغربًا"[39]

وفي شرقي أفريقيا واصل اجتياحه لمراكز البرتغاليين فبعد تحرير قلعة يسوع بممباسا تحت نفوذه المباشر، فعين الشيخ ناصر المزروعي واليا على ممباسا وقد امتدت ولايته إلى زنجبار جنوبا ب(تنزانيا حاليا) وإلى لامو شمالا ب(كينيا حاليا)[40]، وإلى هذا النفوذ العماني الخارجي يشير "كيلي" إلى قوة الأسطول العماني قائلا: "وقد تحولت عمان في ظل اليعاربة إلى أكبر قوة بحرية غير أوروبية في مياه الشرق"[41].

شكل (3) خريطة توضح أسطول الإمام سيف بن سلطان يهاجم البرتغاليين في الساحل الغربي للهند وسواحل شرقي أفريقيا[42].

ومن خلال الخرائط التي وردت بالبحث حول النفوذ السياسي للإمام سيف بن سلطان وسياسته الخارجية في التعامل مع البرتغاليين والتعاون الكبير بين حكومة عمان وشعبها في عهد الإمام سيف بن سلطان نجد قوة التصدي للمستعمر البرتغالي والدور المحوري الذي قام به الأسطول العماني في تحقيق الأمن والسلم بسواحل المحيط الهندي عامة وسواحله الغربية خاصة، كما تشير إلى مدى التوسع العماني في مناطق الخليج العربي وشرقي أفريقيا لمواجهة الخطر الفارسي والأخطار الأوروبية، ومن نماذج الاجتياح التي مارسها الأسطول العماني في عهد الإمام سيف بن سلطان ما قام به الأسطول في إحدى المعارك الواقعة في عرض المحيط الهندي، حيث كان الأسطول يترقب الأسطول البرتغالي وفجأة تظهر في الأفق سفينة أوروبية تم التأكد منها أنها تتبع بريطانيا وتسمى بـــ (لندن)، فهاجمها العمانيون واستولوا عليها وأجبروا طاقمها للوقوف معهم ضد الأسطول البرتغالي، فرفض بعض البحارة الإنجليز ذلك فقيدوهم بالسلاسل وبقوا يشاهدوا المعركة التي انتهت باجتياح شامل للأسطول البرتغالي وتدميره وإغراق سفنه وبحارته[43].

كما كانت سياسة الاجتياح التي اعتمدها الإمام سيف بن سلطان شملت كل القوى المنافسة، حتى الإنجليز الذين كانوا على وفاق دائم مع العمانيين بسبب خصومتهم مع البرتغاليين، إلا أنه لما علم الإمام سيف بن سلطان عن عزم الإنجليز بدعم الفرس في مواجهة الأسطول العماني أعطى أوامره باجتياح الأسطول الإنجليزي والتعرض، حيث هاجمت السفن الحربية العمانية عدداً من سفن شركة الهند الشرقية البريطانية حتى جاءت تعليمات بأن يستعد الإنجليز في الشرق لوقف اجتياح العمانيين، ولكنهم لم يستطعوا استفزاز القوة العمانية، فأدركوا بأن العمانيين في الشرق كالطاعون في وجه القوى الغربية كحال الجزائريين في غرب البحر المتوسط[44]، وقد أشار البرتغاليين إلى هيمنة عرب عمان على غرب

المحيط الهندي بأسره في إحدى مراسلاتهم حيث ذكرت قالت: " لقد أصبح عرب عُمان سادة البحار الممتدة بين الخليج الفارسي وموزمبيق. فسفنهم، المحكمة البناء والمسلحة تسليحًا قويًا، تتحكم في تجارة شرق إفريقيا وتهدد الحصون التي بقيت لنا. ومنذ فقداننا مسقط، تراجع نفوذنا في الجزيرة العربية، وصار إمام عُمان يرسل أساطيله كل عام حتى ممباسة وكلوة، ليأخذ الجزية التي كانت تُدفع لجلالة الملك. ويذكر قادتنا في غوا أنه ما لم تُرسل حملة بحرية كبرى، فإن العُمانيين سيسيطرون قريبًا على الساحل الممتد من هرمز إلى سوفالا".[45]

المبحث الثاني: نتائج السياسة العمانية التي اعتمدت على سياسة الاجتياح لمعاقل البرتغاليين بغرب المحيط الهندي

من خلال سياسة الإمام سيف بن سلطان اليعربي (قيد الأرض) التي وضعها لعلاقاته الخارجية مع القوى الإقليمية والعالمية فقد تبين بأنها كانت تعتمد على المقولة (ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة) ولم يكتف بسياسة الردع فحسب، بل تقدم خطوة أكبر إلى سياسة الاجتياح الشامل لمعاقل الغزاة القراصنة الذين جعلوا من المحيط الهندي مكانا للقرصنة والسلب والنهب والقتل والسيطرة على كل أنواع التجارة بالمحيط، كما تمكنت عمان في عهد الإمام سيف بن سلطان أن تتعامل بسياسة مناسبة مع جميع القوى المنافسة الأخرى بالمنطقة، سواء تلك الإقليمية منها أو العالمية، فكانت نتائج تلك السياسة على القوى المؤثرة بغرب المحيط الهندي وبحاره وخلجانه ناجحة وناجعة، فأضحت إمبراطورية الإمام سيف بن سلطان يمتد نفوذها السياسي والعسكري من سواحل القارة الهندية شرقاً وإلى البحيرات الكبرى وأدغال أفريقيا غرباً، ومن سواحل الخليج العربي وبلاد فارس شمالاً إلى جزائر زنجبار والقمر جنوبا، كما أن قيام الإمام سيف بن سلطان بحماية الأساطيل التجارية في غرب المحيط الهندي أدى إلى انتعاش التجارة بين الشرق والغرب من جديد، وظهرت في هذه الفترة تجارة (البن) القهوة وازدهرت ازدهاراً كبيراً نتيجة لسيادة الأمن والرخاء بالمنطقة، وأصبح ميناء مسقط أحد مراكز التجارة العالمية في هذه الفترة وسمي أسطول التجارة العماني الناقل للبن اليمني من جنوب شبه الجزيرة العربية إلى البصرة وبلاد فارس خاصة بـــ (أسطول القهوة)، حتى أن الإمام سيف بن سلطان قدم لإمام اليمن إسماعيل بن القاسم ألفي رطل من الرصاص كمساعدة لحاكم ميناء مخا اليمني للدفاع عن هذا الميناء من أي تدخل مفاجئ قد يحصل من البرتغاليين، وهذا يأتي في سياق تطهير الإمام سيف بن سلطان منطقة غرب المحيط الهندي وممراته وبحاره وخلجانه من القوة البرتغالية التي عاثت فيه فساداً لأكثر قرن ونصف من الزمن[46].

ومن نتائج سياسة الاجتياح التي اتبعها الإمام سيف بن سلطان بالمنطقة ما يلي:

أولا: على مستوى القوى الإقليمية:

الفرس: الفرس هم أمة عظيمة لها تاريخ حضاري قديم، وقدرت الجغرافيا المكانية أن تكون عمان على التماس مع هذه الحضارة، وعلى تأثيرا وتأثرا وعلاقات صراعا وسلما، الذين كانوا على تنافس مع الإمام سيف بن سلطان اليعربي هي الحكومات التي حكمت بلاد فارس ذلك الإقليم المجاور لعمان في نهايات القرن السابع عشر وبدايات القرن الثامن عشر، فبعدما تحالف البرتغاليين مع الفرس ضد العمانيين أصبحت الأهداف الفارسية مباحة للأسطول العماني الذي لم يتوان في دك القوة الفارسية وعرقلت تجارتها كما يؤكد ذلك وكيل شركة الهند الشرقية الإنجليزية الكابتن (برانغ ون) في وصف التنافس بين عمان وفارس في عهد الإمام سيف بن سلطان قائلاً:" العمانيون دائما ما يعرقلون حركة التجارة الفارسية...

وأنهم سينتشرون كالطاعون العظيم في الهند.." فقد ضرب الإمام سيف بن سلطان الأسطول البرتغالي والفارسي بميناء كنج الفارسي عام 1695م، لدرجة أن الفرس طلبوا من الانجليز حمايتهم من العمانيين، فخشي الإنجليز من سطوة أسطول الإمام سيف بن سلطان على سفنه في ممرات غرب المحيط الهندي فاعتذروا، ثم اتجه الفرس إلى الهولنديين وأيضا رفضوا الوقوف مع الفرس ضد العمانيين لأن القوى الأوروبية أدركت بأن العمانيين سيندفعون كالسيل الهادر في مواجهات لا قبل لهم بها[47].

ثانياً: على مستوى القوى العالمية:

شكل (4) خريطة النفوذ الخارجي للدولة العمانية في عهد الإمام سلطان بن سيف اليعربي (قيد الأرض)

من خلال خريطة شكل (4) تتضح نتيجة سياسة الإمام سيف بن سلطان التي اعتمدت على اجتياح كل ما يمت بصلة للنفوذ البرتغالي بمنطقة غرب المحيط الهندي، وتبرز الخريطة معالم الحضور العماني الذي تأسس في هذه الفترة كحضور سياسي وعسكري وثقافي واجتماعي واقتصادي عماني بمنطقة شرقي أفريقيا على امتداد لآلاف الأميال من سواحل الصومال شمالاً إلى السفالة وموزمبيق وجزيرة مدغشقر جنوباً، وعلى عمق كبير في البر الإفريقي يمتد إلى البحيرات الكبرى شمالاً حيث غابات السافانا وإلى حوض الكونغو وأدغال أفريقيا الاستوائية جنوباً، يكاد يعم وسط أفريقيا كما أعم شرقها، في دلالة على ضخامة البناء السياسي العماني الذي حرر تلك المناطق من أيدي البرتغاليين الذين أصبحوا تحت رحمة أسطول الإمام سيف بن سلطان اليعربي.

وهنا يجب أن يسجل البحث موقفاً واضحاً للإجابة على تساؤل يطرح بين وقت وآخر وهو: هل كان النفوذ العماني على شرقي أفريقيا سيطرة واحتلالاً؟ وللإجابة على هذا السؤال يجب أن ننظر للموضوع من زوايا سياسية مختلفة، حيث نجد اليوم الاتفاقيات السياسية والعسكرية التي تعقدها بعض الدول الصغرى مع الدول الكبرى لأجل بناء قواعد عسكرية ونفوذ سياسي واقتصادي من شأنه يدعم تلك الدول ويعمل على حمايتها وتنميتها، وقد كان النفوذ العماني منذ عهد اليعاربة إلى العهد البوسعيدي عبارة عن طلب ودعوة من الشعوب المسلمة بتلك المناطق لتحرير بلدانها من المحتل الأوروبي وحمايتها من خلال القواعد البحرية العمانية على طول الساحل الشرقي لأفريقيا.

ومن نافلة القول أن الإمام سيف بن سلطان إمام عمان شخصية سياسية بارعة وله مؤهلات قيادية كبيرة حيث استطاع منافسة القوى الأوروبية في غرب المحيط الهندي، بل وسحب البساط منها حيث قاد حملة لحماية الشعوب الإسلامية في سواحل المحيط، فقد كان أسطوله الحربي يدك معاقل البرتغاليين في سواحل الهند والخليج العربي وسواحل

جنوب الجزيرة العربية وأفريقيا الشرقية، فبعد التطرق للسياسة الخارجية العمانية في عهد الإمام سيف بن سلطان اتضح حجم النجاح والانتصارات السياسية والعسكرية للقوة البحرية العمانية في ردع المحتلين البرتغاليين وغيرهم من القوى الأوروبية.

الخاتمة:

يؤكد البحث أن عهد الإمام سيف بن سلطان اليعربي (1692–1711م) شكّل منعطفًا استراتيجيًا في تاريخ عُمان السياسي والبحري، إذ انتقلت الدولة من الدفاع إلى بناء نفوذٍ إقليميّ وعالميّ فعّال. تميز الإمام برؤية حضارية جمعت الحزم العسكري بالحكمة السياسية، فحرّر السواحل من النفوذ البرتغالي وأعاد لعُمان مكانتها قوةً بحرية رائدة في غرب المحيط الهندي.

كانت سياسته الخارجية واعية وممنهجة، هدفها حماية الأمن القومي وتأمين التجارة البحرية وتحقيق توازن القوى مع العثمانيين والفرس دون تبعية لأي طرف، كما أسس دبلوماسية بحرية متقدمة جعلت الموانئ العُمانية مراكز إشعاع اقتصادي وثقافي تربط الشرق بالغرب.

امتد أثر هذه السياسة إلى النهضة الاقتصادية وازدهار تجارة البن والبخور، وأصبح الأسطول العُماني أداة سلامٍ وردعٍ في آنٍ واحد، وجسّدت التجربة العُمانية مفهوم الأمن الإقليمي الجماعي.

وانطلقت هذه السياسة من القيم الإباضية القائمة على الشورى والعدل، فمثّلت دبلوماسية بحرية أخلاقية توفق بين القوة والرحمة.

وبذلك، رسّخ الإمام سيف بن سلطان مكانة عُمان كـ قوة إقليمية ذات رسالة حضارية وإنسانية، وترك أنموذجًا متقدّمًا للدولة التي تجمع بين السيادة والانفتاح، والهوية والإنسانية .

نتائج البحث:

1–قدمت عمان في عهد الإمام سيف بن سلطان مساعدات خارجية عديدة حيث كانت تنجد الشعوب في السواحل الغربية من المحيط الهندي ضد تهديدات البرتغاليين.

2–خلص البحث إلى الدور العماني المحوري في عهد الإمام سيف بن سلطان إقليميا
على مستوى غرب المحيط الهندي، وقدرته على التعامل مع القوى الأوروبية منها والإقليمية.

3– ازدهر الأسطول العماني التجاري والحربي في عهد الإمام سيف بن سلطان وأصبح يجوب غرب المحيط الهندي بحرية مطلقة.

4 –عمان كدولة تقع على المحيط الهندي وطرقه التجارية وموقعها الجيوستراتيجي المهم يجب أن تفعل أسطولها التجاري والعسكري ليواكب هذه الأهمية الإستراتيجية.

5- بروز الدور العماني في عهد الإمام سيف بن سلطان إقليميا ودوليا سواء على مستوى المحيط الهندي وبحاره وجزره، وقدرته على التعامل مع القوى العالمية.

توصيات البحث:

1- أجراء مزيد من الدراسات حول الصراع العماني البرتغالي.

2- لابد من البحث والتقصي حول شخصية الإمام سلطان اليعربي.

3- وضع موضوعات الإمام سلطان اليعربي في أرشيف خاص كواحد من رواد السلطنة.

4- على المؤسسات الثقافية والتعليمية العناية بمثل هذه الشخصيات والرموز الوطنية.

Abstract

Omani naval power during the reign of Imam Saif bin Sultan Al Ya'arubi (1692–1711 AD)

"A Study in Foreign Policy and Building Regional Influence"

By Habib Abn Marhun Abn Saeed Al-Hadi

At the dawn of the modern era, the Islamic world faced an overwhelming wave of colonial expansion, as European powers sought to dominate vital maritime routes and commercial hubs across the East, aiming to control global trade and natural resources. The western Indian Ocean—comprising the coasts of the Arabian Gulf, the Arabian Peninsula, western India, and eastern Africa—became a major theatre of this imperial contest, as vast areas fell under Portuguese domination for more than a century. Yet, divine providence granted this region enlightened leadership embodied in the Imams of Oman from the Yaʿ rubi dynasty, who confronted the colonial advance with a comprehensive liberation project that reshaped the geopolitical balance in the western Indian Ocean and inaugurated a new era of regional stability, prosperity, and sovereignty.

This study examines Oman's foreign policy during the reign of Imam Saif bin Sultan al-Yaʿ rubi (1692–1711 CE) as a distinguished model of Islamic leadership that successfully employed naval and diplomatic power to achieve regional peace and security while consolidating Oman's independence in the face of European expansionism. The research adopts a descriptive-analytical methodology, drawing upon historical documents, maps, and primary and secondary sources to uncover the intellectual and strategic foundations of Omani foreign policy during this pivotal period and to assess its political, military, and economic outcomes across the broader Indian Ocean region.

The first section explores Imam Saif bin Sultan's policy of consolidating security and promoting peace throughout the western Indian Ocean through a comprehensive strategic vision grounded in the unification of the Omani interior and the enhancement of the state's maritime and commercial capabilities. The second section analyzes the outcomes of this policy, which combined firmness and pragmatism in confronting colonial powers, as the Imam pursued a systematic offensive strategy aimed at liberating Portuguese strongholds and securing international navigation and free trade.

The study concludes that the era of Imam Saif bin Sultan marked a strategic turning point in Omani foreign policy, transforming the state from a defensive actor into a proactive regional power. His leadership institutionalized the principles of maritime sovereignty, preventive diplomacy, and regional balance in an era marked by intense global competition. Furthermore, this Omani experience provides valuable insights into the enduring concept of peace through strength and exemplifies an early form of ethical realism in Arab-Islamic political thought and practice. Keywords: Imam Saif bin Sultan al-Yaʿ rubi, foreign policy, the Portuguese, western Indian Ocean, Omani naval power.

الهوامش

[1] سالم بن حمود السيابي ، **إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان**، منشورات المكتب الإسلامي، بيروت ،1384هـ، ص 120.

2 ذيفون مصطفى حسن سعد، **جهاد الدعارية ضد الاستعمار البرتغالى 1033- 1131/ 1624-1718م** ، مجلة بحوث الشرق الأوسط، المنوفية، مصر ، م1 ، 2010، ، ص 64- ص 134.

3 سعد، **جهاد الدعارية ضد الاستعمار البرتغالي**، ص87- ص 90.

4 خليل بن عبدالله العجمي، **تنامي قوة عمان البحرية ودورها في دفع الإنجليز لإقامة تحالف سياسي وتجاري مع حكام دولة اليعاربة الأوائل (1650- 1700م)**، مجلة دراسات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ع22 ، المغرب، 2019م، ص119- ص 128.

5 فاضل زكي محمد، السياسة الخارجية وأبعادها في السياسة الدولية، دمشق، مطبعة شفيق،1975م ، ص52.

Macridis , RoyForeign Policy world policy. New Jesray, 1958, p163. 6

7 وسام هادي عكار، السياسة الخارجية اليابانية (1868- 1922م) "دراسة تاريخية"، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين، ألمانيا، 2021م. ص69.

[8] ، عبدالله بن حميد السالمي، **تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان**، مكتبة الاستقامة،2012م، ص 106- ص 108.

[9] جميلة بنت عبده بن موسى معشى، **جهود المزارعة في نشر الإسلام في شرق إفريقيا (١١١٠ -١٣١٣هـ/١٦٩٨- ١٨٩٥م)** دراسة تاريخية حضارية، رسالة ماجستير غير منشورة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم التاريخ، جامعة ام القرى، المملكة العربية السعودية،2014م، ص 210.

10 البطاشي، سيف بن حمود. **إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عُمان**. الجزء الأول. الطبعة الرابعة. مسقط: وزارة التراث والثقافة، 2016. ج1، صـ 496.

[11] سعيد بن محمد الهاشمي، **دراسات في التاريخ العماني**، م1، مسقط، سلطنة عمان، النادي الثقافي، 2013م، ص144.

12 عبدالرحمن علي السديس ،**العمانيون والجهاد الإسلامي في شرق إفريقية**، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1993م، ص122.

13 سعد، **جهاد الدعارية ضد الاستعمار البرتغالي**، ص87- ص 90.

14 السديس، **العمانيون والجهاد الإسلامي**، ص122.

15 العجمي، **تنامي قوة عمان البحرية**، ص119- ص 128.

[16] عائشة السيار، **دولة اليعاربة**، ط 1، دار كتّاب، دولة الإمارات العربية المتحدة، 2018م، ص120.

[17] سعد، **جهاد الدعارية ضد الاستعمار البرتغالي**، ص87- ص 90.

[18] الغيلاني، **القوة البحرية في عهد اليعاربة ودورها الحضاري**، بحث مقدم لندوة (الحركة العلمية في عصر اليعاربة)، ص 50- ص 57.

19 موسى بن سالم البراشدي، **الدور السياسي لعلماء عمان خلال الفترة 1034هـ/ 1624إلى 1162هـ/ 1749م**، ط1، الجمعية العمانية للكتاب والأدباء، سلطنة عمان، 2019، ص22.

20 الغيلاني، **القوة البحرية في عهد اليعاربة، ص** 58.

[21] Arquivo Nacional Torre do Tombo (ANTT). *Corpo Cronológico*, Parte I, Maço 89, Doc. 6, "Batalha Naval perto de Ras al-Hadd," Fevereiro 1650.

[22] سعد، **جهاد الىعاربة ضد الاستعمار البرتغالي** ، ص87- ص 90.

[23] السديس ، **العمانيون والجهاد الإسلامي**، ص 120- ص 125.

[24] وزارة التربية والتعليم، **الأطلس التعلميي الرقمي لسلطنة عمان والعالم**، سلطنة عمان ، 2025م.

25 السيار، **دولة اليعاربة**، ص 118- ص 125.

26 التوبي، **المقاومة العمانية** ، ص66.

[27] المسيو جيان، **وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن إفريقيا الشرقية**، ترجمة: يوسف كمال، ط1، القاهرة، 1927م، ص 253.

[28] خليل العجمي ، **أوضاع عمان الداخلية وعلاقاتها الخارجية في عهد اليعاربة خلال الفترة من (1059 هـ/ 1649 م – 1123 هـ/ 1711م**، رسالة ماجستير جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان، 2006م، ص 63- ص70.

[29] العجمي، **أوضاع عمان الداخلية وعلاقاتها الخارجية**، ص119- ص 128.

[30] السيار، **دولة اليعاربة في عمان وشرق أفريقيا**، ط2، أبوظبي، مطابع دار صحف الوحدة، 1991م، ص 88. البطاشي، سيف بن حمود. **إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عُمان**. الجزء الأول. الطبعة الرابعة. مسقط: وزارة التراث والثقافة، 2016. ج1، صـــ 496.

[31] العجمي، **أوضاع عمان الداخلية وعلاقاتها الخارجية، ص** 64- ص 68.

[32] جمال زكريا قاسم، **دولة البوسعيد في عمان وشرقي أفريقيا**، مركز زايد للتراث، أبو ظبي، 2000م، ص 47.

33 أحمد بن حميد التوبي، **قلعة يسوع**، ط1، بيت الغشام، سلطنة عمان، 2019م، ص 78.

34 السالمي، **تحفة الأعيان**، ص105- ص 109.

[35] التوبي، **المقاومة العمانية للوجود البرتغالي، ص**270- ص 277.

36 العجمي، **أوضاع عمان الداخلية وعلاقاتها الخارجية**، ص119- ص128.

[37] سعد، **جهاد الىعاربة ضد الاستعمار البرتغالي**، 2010م، ص87.

[38] التوبي، **المقاومة العمانية للوجود البرتغالي، ص**274.

40 موسى بن سالم البراشدي، **التنظيم الإداري في عمان زمن اليعاربة**، مجلة بحوث كلية الآداب، القاهرة، 2016م، ص55.

41 جون. ب كيلي، **بريطانيا والخليج**، ت: محمد أمين عبدالله، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، 1979م، ص55.

42 وزارة الإعلام ،**عمان في التاريخ**، ط3، وزارة الإعلام، سلطنة عمان، ص372.

[43] العجمي، **تنامي قوة عمان البحرية ودورها في دفع الإنجليز**، ص231.

[44] العجمي، **تنامي قوة عمان البحرية ودورها في دفع الإنجليز**، ص233.

[45] Arquivo Nacional Torre do Tombo (ANTT). *Cartas e Relações do Estado da Índia*, Caixa 212, Doc. 34. English translation in: *Records of the Portuguese Empire in the Indian Ocean, 1698–1711* (Lisbon: Universidade de Lisboa Press, 2019), p. 117.

[46] ناهد عبدالكريم، يوسف الغيلاني ، **أسطول البن العماني وتجارته من 1744م – 1832م**، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، الأردن، م 10، ع 1 2013،م ، ص23- ص 69.

47 فاروق عمر فوزي، **تاريخ اليعاربة في عمان**، ط1، مجدلاوي، الأردن، 2014م، ص 167.

المصادر والمراجع:

أولا: المراجع العربية

1- أحمد بن حميد التوبي ، المقاومة العمانية للوجود البرتغالي في الخليج العربي والمحيط الهندي، بيت الغشام، سلطنة عمان، 2017م.

2- أحمد بن حميد التوبي، قلعة يسوع، ط1، بيت الغشام، سلطنة عمان، 2019م.

3- جمال زكريا قاسم، دولة البوسعيد في عمان وشرقي أفريقيا، مركز زايد للتراث، أبو ظبي، 2000م .

4- سالم بن حمود السيابى، إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان، منشورات المكتب الإسلامي، بيروت ،1384هـ.

5- سعيد بن محمد الهاشمي، دراسات في التاريخ العماني، المجلد1، النادي الثقافي مسقط، سلطنة عمان،2013م.

6- عبدالله بن حميد السالمي، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، مكتبة الاستقامة، 2017م .

7- عبد الوهاب الكيالي وآخرون، موسوعة السياسة، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،م3 ،1983م.

8- عائشة السيار، دولة اليعاربة في عمان وشرق أفريقيا، ط2، مطابع دار صحف الوحدة، أبوظبي، 1991م.

9- عائشة السيار، دولة اليعاربة، ط 1، دار كتّاب، دولة الإمارات العربية المتحدة، 2018م.

10-فاروق عمر فوزي ، تاريخ اليعاربة في عمان، ط1، مجدلاوي، الأردن، 2014م.

11-وزارة الإعلام ،عمان في التاريخ، ط3، وزارة الإعلام، سلطنة عمان،2015م .

12-وزارة التربية والتعليم ، الأطلس المدرسي لسلطنة عمان والعالم، ط1، سلطنة عمان، 2004م .

ثانيا : المراجع المعربة

1- المسيو جيان ، وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن إفريقيا الشرقية، ترجمة: يوسف كمال، ط1، القاهرة، 1927م.

2- جون. ب.كيلى ، بريطانيا والخليج، ترجمة: محمد أمين عبدالله، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، 1979م .

ثالثا : المراجع الأجنبية

Macridis , RoyForeign Policy world policy. New Jesray, Englewood cliffs,(Prentic Hall) ,1958.

رابعا : الأبحاث المنشورة في المجلات العلمية

1- حمود بن حمد الغيلانى، القوة البحرية في عهد اليعاربة ودورها الحضاري، بحث مقدم لندوة (الحركة العلمية في عصر اليعاربة)، سلطنة عمان، وزارة التراث والثقافة، 2015م.

2- خليل بن عبدالله العجمى، تنامي قوة عمان البحرية ودورها في دفع الإنجليز لإقامة تحالف سياسي وتجاري مع حكام دولة اليعاربة الأوائل (1650– 1700م)، مجلة دراسات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المغرب، ع22، 2019م.

3- موسى بن سالم البراشدي، التنظيم الإداري في عمان زمن اليعاربة، مجلة بحوث كلية الآداب، القاهرة، 2016م.

4- موسى بن سالم البراشدي، الدور السياسي لعلماء عمان خلال الفترة 1034هـ/ 1624إلى 1162هـ/ 1749م، ط1، الجمعية العمانية للكتاب والأدباء، سلطنة عمان، 2019م.

5- ناهد عبدالكريم ، يوسف الغيلاني ، أسطول البن العماني وتجارته من 1744م – 1832م، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، الأردن،م10 ، ع1، 2013م .

6- نوفين مصطفى حسن سعد، جهاد اليعاربة ضد الاستعمار البرتغالى 1033– 1131/ 1624–1718م، مجلة بحوث الشرق الأوسط، المنوفية، مصر،م1 ، 2010م .

خامسا : الرسائل العلمية غير منشورة

1- جميلة بنت عبده بن موسى معشى، **جهود المزارعة في نشر الإسلام في شرق إفريقيا (١١١٠ -١٣١٣هـ/١٦٩٨- ١٨٩٥م) دراسة تاريخية حضارية**، رسالة ماجستير- كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم التاريخ، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2014م.

2- خليل العجمى، أوضاع عمان الداخلية وعلاقاتها الخارجية في عهد اليعاربة خلال الفترة من (1059 هـ/ 1649 م – 1123 هـ/ 1711م، رسالة ماجستير جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان، 2006م.

3- عبدالرحمن علي السديس، العمانيون والجهاد الإسلامي في شرق إفريقية، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1993م.